بنيـــــــــة وتشكيـــــــــل الجيش البري المُوحِّـدي
(515-668هـ/1121-1269م)

من إعداد: النقيب تركي عباس
م و د ب ت ع ج/ن ع 1

مقدمـــــة :

أصبحت بلاد المغرب خلال القرن السادس الهجري/ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي خاضعة للدولة الموحدية ويعود الفضل في ذلك إلى شخصيتين بارزتين هما المهدي بن تومرت الذي راح يؤسس لدولته من خلال دعوته الإصلاحية في صفوف القبائل المحلية، وعبد المؤمن بن علي الشخصية العسكرية الذي كان له الدور الكبير في بناء الجيش الموحدي الذي ضَمَن استقرار الدولة وسيادتها على بلاد المغرب والأندلس، حيث وبعد خلافته لابن تومرت أطلق نداء صريحا لتجنيد مختلف القبائل البربرية من أجل الجهاد، وقد استفاد بفضل حِنْكته من الإسهامات التي تُقدِّمها القبائل الموالية باختلاف مشاربها من خلال تزويده بالرجال والخيول، فأحسن تدريبهم على أساليب القتال المختلفة حتى يتماشى وأطماع الدولة التوسعية، وهي السياسة التي انتهجها الخُلفاء من بعده من خلال التنظيم المُحكم والجاهزية المستمرة للجيش، بإضافة مُكوِّنات وعناصر أخرى في كل مرة تملك الخبرة العسكرية والقتالية الكافية، وهو الأمر الذي أنتج جيشا نظاميا قويا استطاع تحقيق انتصارات عديدة في تاريخ الدولة. والإشكالية المطروحة في هذه الدراسة، ماهي القبائل والعناصر التي شكَّلت الجيش الموحدي؟ وكيف استطاع الخلفاء الموحدون استمالتهم في كل مرة؟ وماذا عن كيفية تنظيم الجيش وتشكيلاته القتالية المختلفة أثناء المعارك والحروب؟.

1.العناصر المكونة للجيش الموحدي:

عَمِل المهدي ابن تومرت على تثبيت وتنظيم معالم دولته في بلاد المغرب، وركَّز في تنظيمه على الجانب العسكري الذي كان ميزة هامة لدى الدولة الموحدية وهو الأمر الذي جَسَّده عبد المؤمن بن علي وخُلفاؤه، وقد اتَّصف الجيش على أنه جيش مَبنِّي على مبادئ عقائدية قبلية جهادية واختلفت بُنْيتُه ما بين عناصر محليَّة مُتمثلة في القبائل القوية التي قطنت بلاد المغرب والتي تُعتبر النواة الأولى في بروز الدولة، وأخرى أجنبية وصلت لبلاد المغرب من خلال الهجرات المختلفة.

أ. قبائل المصامدة:

مع استقرار المهدي بن تومرت[1] بالمغرب وبالضبط في تنملل جنوبا بإقليم السوس، كان هَمُّه الوحيد هو الدعوة الإصلاحية في صفوف القبائل الموحدية، و تكونت في بادئ الأمر من قبائل المصامدة، وهي قبائل كبيرة ذائعة الصيت حيث أنَّ شيخهم المدعو أبا حفص هو الذي حبَّبَ لهُم تبنِّي الدعوة المهدوية والانضمام إليه[2]، وتُعتبر هذه القبائل المؤسس الأول للنظام الجديد بعد سقوط المرابطين (-540 480هـ/ 1056-1145م) حيث صارت تُكَوِّن طبقة هامة استطاعت الوصول إلى مختلف وظائف الدولة[3]، وقد حَدد عبد الواحد المراكشي (ت. 764هـ/1250م) بلادهم ومواقعهم، « **...من جبال صنهاجة حتى بلاد النهر الأعظم بحر أوقيانس، فالصحراء...**» أين تتمركز قبائل لمتونة ومسوفة وسرطة[4] .

وأهم قبائل المصامدة نجد: دكالة، حاحة، رجراجة، جزولة، لمطة، جنفيسة، هنتاتة، هرغة، تينملل، وأيضا قبائل موجودة بمحيط مدينة مراكش كقبيلة هزمير، هيلانة، وهزرجة[5].

تنبَّه المهدي إلى ضرورة إنشاء قوة عسكرية وجيش نظامي يضمن له ولدولته الاستمرار والاستقرار في المنطقة،

خصوصا وأنَّ المغرب الإسلامي يشهد تحديات عسكرية داخلية وخارجية، وخاصة الصراع مع بقايا الدولة المرابطية وتمرد أسرة بني غانية، وأيضا الثورات التي تقودها بعض قبائل المصامدة التي لم تقتنع بالدعوة المهدويةكقبيلة هسكورة التي كانت تُعرف بقوتها، فهم لم ينسجموا في المجتمع الموحدي في بادئ الأمر، حيث تجلى ذلك من خلال إعلانهم الحرب على الموحدين، وكانوا يمقتون قبائل المصامدة التي قبلت الدعوة والجهاد مع الموحدين[6] .

تَمَكن ابن تومرت بفضل دهائه وطلاقة لسانه استمالة تلك القبائل وتحريكها من خلال سياسته القائمة على عدم التسامح مع السكان الغير موالين له حتى يجبرهم للوقوف معه صفا واحدا ، وهو ما حصل بالفعل، فقد استطاع بذلك تنظيم القبائل تنظيما هرميا محكما وتوظيفها في كل ما يخدم الدعوة الموحدية خاصة في ظل التحركات العسكرية المرابطية المتتالية[7]، وكبداية لعملية التنظيم قام بتقسيم أتباعه ووضع نقيب على كل عشرة أفراد، بالإضافة إلى تقسيمهم إلى ثلاثة عشر صنفا يتقدمهم من بايعه أولا وهم أصحاب العشرة، ثم أهل الخمسين، فأهل السبعين، والطلبة، والحفاظ، وأهل الدار، وأهل هرغة، أهل تنملل، وجدميوة، وأهل جنفيسة، وأهل هنتاتة، والجند، والصنف الثالث عشر الرماة[8]، وبلغ حُبُّهم وشغفهم بالدعوة إلى درجة كبيرة حتى أن الواحد منهم لو طُلب منه قتل أحد أفراد عائلته لفعل ذلك دون أدني تفكير، وهذا دليل على درجة الوفاء والطاعة له[9]، وبعد أن أقنع أنصاره من المصامدة بضرورة الجهاد من أجل نشر الدعوة والعقيدة الموحدية، شرع في إعداد الجيش من خلال التدريب فاختار من عشيرته وأصحابه الأكثر حنكة ومسؤولية وأرْسَلَهم إلى مختلف القبائل للدعوة والتجنيد، وكسب أنصارًا جدد من أجل التأسيس لدولته الجديدة[10].

بدء المهدي بن تومرت مهامه القتالية ضد الدولة المرابطية سنة 517 هـ/1123م، حيث جَنَّد جيشا جرارا في عدته وعتاده أغلبه من القبائل المصامدة، وعَيَّن على رأسهم قائده العسكري عبد المؤمن بن علي الكومي[11] (524-558هـ/1130-1163م) حيث قال لهم: « **اقصدوا هؤلاء المارقين المبدِّلين الذين تَسَمَوا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع والإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فَهُم إخوانكم لكم مالهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لَكُم السُّنة قتالهم**»[12].

لعبت هذه القبائل دورا هاما من خلال اعتبارها نواة أولى لنجاح الدعوة من جهة، وركيزة هامة في بناء أساس الجيش الموحدي من جهة أخرى، واستمرت في دعمه بالجنود والفرسان طوال فترة حكم الموحدين.

ب. القبائل الصنهاجية:

اعتُبِرت طرفا فاعلا في ظهور الدولة المرابطية وانتشار دعوتها في بلاد المغرب حيث قدَّمت خدمات جليلة وتضحيات جسام من أجل رفع راية الدولة، و بعد بداية تقهقر وضعف المرابطين بالنظر للمعارك الكبيرة ضد الموحدين ما أجبرهم على الانقلاب على الدولة والعمل لصالح الطرف الأقوى وهو الدولة الموحدية التي بدأت تبسط نفوذها بالطول والعرض، وشرعت قبائل صنهاجة بالانضمام للموحدين في عهد قائد الجيش الصنهاجي سبع بن عبد العزيز الذي خرج مع جيش قوامه 20 ألف فارس لمواجهة الجيش الموحدي لكنه انهزم من دون قتال يذكر ما يفسر استسلامه للموحدين[13]، ولعله بذلك أراد الحفاظ على ممتلكاته وأهله واستقرارهم فحتى أولاده بعده انتهجوا سياسته اتجاه الموحدين[14] باستثناء بعض القبائل التي بقيت تابعة للدولة المرابطية فسرعان ما صارت تتهاوى الواحدة تلوى الأخرى باستسلام قادتها سواء عن طريق الصلح أو طريق السيف[15].

برزت القوة العسكرية للصنهاجيين في مقدمة الجيش الموحدي بحوالي 20 ألف فارس خلال معركة سطيف وذلك سنة 584هـ /1153م، حيث هاجموا القبائل الثائرة وقد عُرف عنهم الانضباط والتنظيم المحكم[16]، ويصف البكـري (ت. 487هـ/1094م) الشجاعة والمهارة التي تُميز هذه القبائل قائلا:«**...ولهم في قتالهم شدة وبأس وجلد ليس لغيرهم وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وهم يقاتلون على الخيل...وأكثر قتالهم رجالة...**»[17].

بالإضافة إلى تشكيل قبائل صنهاجة لوحدات عسكرية مقاتلة في الجيش الموحدي في مختلف المعارك وميادين

القتال، تم استغلالهم أيضا في مهام استراتيجية أخرى من خلال إعمارهم في مختلف المناطق التي يتم غزوها وتحريرها مثل ما حدث مع صنهاجة وهسكورة في كل من شاطبة ومرسيه في بلاد الأندلس[18]، وهو تكتيك استراتيجي ذكي اعتمده الموحدون للحفاظ على الجاهزية والاستقرار في هاته المناطق، وهي دليل آخر على حجم الثقة الكبيرة التي كسبتها هاته القبائل الصنهاجية التي أصبحت عنصرا هاما في الجيش.

ج. القبائل الزناتيـــــــة:

استوطنت هذه القبائل في إفريقيا والمغرب، ومنهم في غدامس والسوس الأقصى[19]، وأهم قبائلهم بني يفرن، جراوة، مغراوة، بنو يرنيان، بنو واسين[20]، وبادروا في الدخول في تكوين الجيش الموحدي منذ عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي[21]، حيث لعبوا دورا بارزا من خلال وُقُوفهم ضد قبائلهم وعشائرهم الذين لم ينطووا تحت حكم عبد المؤمن مثل قبائل: بني ومانو، بني عبد الواد، وبني يلومي[22]، والتي استسلمت فيما بعد، بالإضافة إلى قبيلة بني توجين وهم الذين كانوا موالين للدولة المرابطية، حيث قَبِل عبد المؤمن ولاءهم، وقام بتكريم أسيادهم وضمَّ قواتهم للجيش الموحدي[23]، بالإضافة إلى إعطائهم بعضا من أملاك الدولة من غنائم وأراضي، وهذا ما نجده في قيامه بمنح بني عبد الواد أراضي بلاد بني يلومي وبني ومانو[24].

ونتيجة لسياسة القادة الموحدين تمكَّنوا من كسب هاته القبائل والاستفادة من خبراتهم في ميدان القتال والحروب واستخدام الأسلحة، فقد كَوَّنوا منهم جيشا عظيما كالذي حصل خلال حصار المهدية سنة 554هـ/1159م، حيث قُدِّر جيش الموحدين بحوالي 75 ألف فارس و5 آلاف رجل، من قبائل زناتة والأغزاز والعرب[25]، وهو ما أَثَّر على قوة الجيش من خلال هذا التنوع.

وقد تَمَكَّنَ الزناتيون من خلال احتكاكهم مع الموحدين من الانفصال فيما بعد مُكَوِّنين دُويلات مستقلة مثل بني عبد الواد في تلمسان (633هـ/1235م).

د. القبائل العربيَّـــــــة:

سكنت هذه القبائل بلاد إفريقية وأهم قبائلها: بنو سليم، جشم، ربيعة، عدي زغبة، رياح، الأثبج، ناصرة، غمرة، ورياب وعوف[26]، وقد كان وُلوُجهم في التشكيلات القتالية منذ البدايات الأولى للفتوحات الإسلامية وفيما يخصُّ دُخولهم في التشكيلات القتالية للموحدين، فكان مع دخول الخليفة عبد المؤمن بن علي على بلاد إفريقية، حيث استغل الظروف السياسية والصراعات القائمة بين القبائل الموالية لبني زيري بن مناد الصنهاجيين ومشاكلهم الدائمة مع القبائل العربية[27].

مع اتساع رقعة دولة الموحدين وامتداد نطاق الحروب بينها وبين النصارى في بلاد المغرب و الأندلس، ولم تعد القبائل الموحدية مصدرا كافيا لتكوين وتموين الجيش، وقد باشر الموحدون استمالة القبائل العربية لصفوفهم بالنظر للكفاءة والمهارة القتالية العالية التي تمتعت بها هاته القبائل، فهي تمتاز بالتمرس والخبرة الواسعة ونقاط قوة كثيرة ومهارة في استعمال أساليب قتال متعددة، حيث تَتَّصف بالشجاعة مع إتقان ركوب الخيول المتمرسة السريعة، وامتلاكهم لأسلحة فردية قوية[28]، وقد أورد الباحث خميسي بولعراس في هذا الشأن نقلا عن ليو السادس Leo VI في قوله:« **في حالة الأسلوب القتالي إمَّا أن يَفِرَّ العربي بخدعة وتجنب القتال، وامتلاك فرسانهم عناصر القوة وحركة عجيبة سهلت لهم الهجوم السريع والانسحاب الفوري ...كما طَبَّقُوا طريقة الزحف والصفوف والكرة بعد الفرة والرجعة بعد الجولة، وهي أساليب قتالية أجادوا فيها**»[29].

هذا وبرزت بعض نقاط ضعفهم على ما أَورَدَه ليو السادس تَكْمُنُ في عدم قدرتهم على خوض المعارك في بعض المناطق ذات المناخ الصعب فيقول:« **الجو البارد والمطر كان مكروها لدى الجندي العربي، ولذلك كان يضعف إذا هجم البرد فلا يُظهر ثباته وشجاعته المعهودتين.**»[30]. وعُرِف عن القبائل العربية عند قتالهم وحروبهم المختلفة سواء مع المرابطين أو مع الجيش الموحدي، اصطحابهم لأولادهم ونسائهم معهم حتى يكونوا لهم دفعا معنويا قويا للقتال من أجل الجهاد والشرف[31].

وكما أوردنا آنفا فإن دخول القبائل العربية في كنف الدولة الموحدية كان طواعية أو عن طريق عمليات الأسر التي طالت مختلف القبائل أثناء غزوات الخلفاء، حيث تم قتل من رفض الانصياع لأوامر الدولة وبالمقابل تم قبول الاستسلام ومقاسمة الغنائم والأراضي مع الطائعين كطريقة

لكسبهم في صفوفهم[32].

لعبت هذه القبائل دورا كبيرا في بناء الجيش الموحدي وانتصاراته المتتالية، حيث تم الاستنجاد بهم من طرف القائد العسكري عبد المؤمن بن علي في القضاء على الاضطرابات في بلاد الأندلس عبر استحداث ما يُعرف بمراكز دفاعية عسكرية متقدمة، تم تثبيت القبائل الموحدية وقبائل العرب والبربر فيها قصد المحافظة على مكاسب الدولة في المنطقة[33].كما استعان بهم أيضا بعد الهزيمة القاسية التي لحقت بجيشه أمام الجيش النصراني في معركة زغبولة غرب إشبيلية 552هـ/1157م، وهذا لإمداده وحماية مناطق النفوذ في الأندلس[34]، ولم تكن هذه المرة الأخيرة التي طلب فيها الموحدون المدد من قبائل العرب بل تم الاستعانة بهم في القضاء على خطر الثائرين ابن مرنديش وابن همشك في الأندلس أيضا، وقد أرسل لهم الخليفة أحد قادته وهو يوسف بن سليمان حيث قال له:« **ركِّب لي العرب، ركِّب لي منهم 14 عشر ألفا وأعطيك البشارة ...**»[35] فاستطاع بذلك أن يجمع ويحشد عدد كبير من المقاتلين حتى تخاطفت العرب على الخيل على حد قول البيذق لكثرة عددهم، وهو ما جعل عبد المؤمن يُنْشد فيهم قائلا:

«ويصحبنا من خالص العرب معشرا

أنابوا فما ردوا وتابوا فما ارتدوا» [36]

وتوالت سياسة الخلفاء في استدعاء العرب في كل مرة احتاجوا فيها للدعم، فقد صاروا يُشكِّلون قطعة أساسية في جيشهم، فنجد يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1163-1184 م) مثلا يطلبها في كل مرة أثناء معاركه، حيث اجتمع له أثناء بيعته قبائل كثيرة فوصل عدد الخيل أربعة آلاف من إفريقية وألف فرس من تلمسان [37]، فأنشد فيهم شعرا حماسيا قال فيه:

ألا فابعثوا همَّـــة عربيـــة

تعز بأطراف القنـــا والقواضـــب

الفرسان قيس من هلال وعامر

وما جمعت من ظاعن ومضـــارب

وتَمَكَّن بفضل هذه السياسة الذكية أن يجمع من قبائل العرب العدد الكبير مشكلا بذلك قوة عسكرية، قسَّمها على الأراضي الموحدية في العُدْوتين الشمالية والجنوبية [38].

ورغم الشجاعة والخبرة القتالية التي أبداها العرب إلَّا أنهم عُرِفوا أيضا بإثارة الفتن وعدم الخضوع للسلطة في عديد المرات، خاصة في عهد الخليفة الموحدي المنصور(580-595هـ/1184-1199م) فقد ترك وصية قال فيها: «**..وهؤلاء العرب تُداروهم ولا تُلاطفونهم، وتُحسنوا إليهم ومن وفد إليكم منهم تعطوه وتحسنوا إليه غاية الإحسان وتُشغلونهم بالحركات ولا تتركونهم للعطلة والراحات**»[39]

يظهر لنا جليا أن القبائل العربية قد أسهمت ولو بالقليل في تكوين وإمداد الجيش الموحدي من خلال الخبرات العسكرية التي اكتسبوها من ترحالهم المستمر ومعاركهم المختلفة، إضافة إلى أعدادهم الكبيرة وتَوفر المادة الأساسية في الحروب لديهم وهي الإبل والخيول، ولعل الوقار والاحترام الذي حظي به القادة العرب من الخلفاء الموحدين من خلال الولائم وتقسيم الغنائم من أموال وأراضي يمارسون فيها نشاطهم الرعوي والتجاري لهو أكبر دليل على الدور الهام الذي لعبوه في الجيش الموحدي، وبالإضافة إلى دعمهم العسكري كان لهم دور في الدعم الاقتصادي الموحدي من خلال الفلاحة والرعي، وتَجَلت مساهمتهم الاجتماعية في تعريب منطقة المغرب وإفريقية.

هـ. عبيد السودان:

ظهر هذا العنصر أولا مع الدولة المرابطية، فكان مُكوِّنا هاما ودعامة أساسية في تكوين الجيش، حيث أسهموا في مختلف المعارك والثورات، وشَكَّلوا فئة الحرس الخاص في الدولة[40]. ودخلوا أوَّل مرة لبلاد المغرب سنة 464هـ/1071م، لما قام الخليفة المرابطي يوسف بن تاشفين[41] بجلب عدد كبير منهم حوالي ألفين من العبيد، فجنَّدهم وأحسن تدريبهم ثم ضمَّهم إلى جيشه[42]، وقد كَوَّنوا مجموعة عسكرية مسلحة بأسلحة خفيفة كالمزاريق (هي جمع مزراق وهو الرمح القصير) والدبابيس (الملحق01) والحراب والسيوف، وعُرف عنهم الخبرة والولاء، وهذا ما يُؤكِّد القوة العسكرية التي مثلتها هذه الفئة في بلاد المغرب الإسلامي[43]، وفيما يخص ظهورهم في الدولة الموحدية فقد كان منذ البدايات الأولى للتأسيس حيث أطلق عليهم الخليفة المهدي بن تومرت تسمية عبيد المخزن، ولم يميِّزهم عن بقية الموحدين،

فيقول البيذق على لسان المهدي مخاطبا أحد قادته عند أسره لمجموعة من العبيد في غزوته إلى تزاكورت: «... **فقال المعصوم لميمون الكبير، خذ هؤلاء إخوتك.**»[44] هذا واتَّخَذ الخلفاء الموحدون هؤلاء الجُند العبيد كحارسين شخصيين مُسلحين بالحِراب في جميع خرجاتهم وغزواتهم، حيث يُكوِّنون شَكْل دائرة حول خيمة الخليفة من كل الجهات مسلحة ومُجهَّزة للتدخل في حال الخطر[45]، وما يُؤكد أنهم كانوا يشكلون قوة عسكرية بامتياز هو وقوفهم ضد عبد المؤمن في صراعه مع المرابطين في معركة أغمات 524هـ/1129م حين قُتل حوالي 3 آلاف جندي أغلبهم من الجنود السودان[46].

عَظُم شأن عبيد السودان ودخلوا شيئا فشيئا في صنوف الجيش الموحدي، و تطورت مهامهم العسكرية عما كانت عليه في دولة المرابطين، هذا وأوكلت لهم مهام رئيسية أخرى في المعارك خاصة في عهد القائد عبد المؤمن إثر قضائه على قبيلة جزولة الصنهاجية 539هـ/1144م، والتي عُرِف عنها القوة والشجاعة، فحتى المرابطين لم يستطيعوا إخضاعها لكنها استسلمت فيما بعد كونها محاطة من كل الجهات بالقبائل الموالية للموحدين[47]، حيث أوكل للعبيد مهمة التفاوض وتصفية المجرمين من أجل الاستسلام والطاعة، وقد أورد البيذق حول أحداث المعركة قائلا:«**...فقال لهم عبيد المخزن امشوا إلى الخليفة يعطيكم الدعاء، فجاؤوا يريدون الدعاء فلما انفصلوا على دوابهم ركب العبيد خيولهم وأخذوا سلاحهم، وأمر الخليفة فضرب الطبل وقتلهم جميعا ...**»[48]، وهذا ما يُؤكِّد المكانة التي مثَّلتها هذه الفئة فقد كانت جزءا هاما من الخطط الحربية وتحقيق الانتصارات المتتالية للدولة مثل ما حدث أيضا في حصار مراكش 541هـ/1146م، حيث كان لهم دور كبير في اقتحام الحصون والأسوار التي كانت تحيط بالمدينة مُشكِّلين بذلك قوة رئيسية إلى جانب قبائل صنهاجة، وهذا من خلال مَهمتهم القتالية المتمثلة في تدمير باب الدَّباغين، حيث دخلوا المدينة وغنموا فيها من الخيل 800 فرس، بالإضافة إلى الأسلحة والدروع[49].

استعملهم الخلفاء في مهام تكتيكية قتالية أخرى كحماية للخلفيات ونسق ثاني للجيش مثل ما حصل مع الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م)، حيث بقي هو وبعض القبائل الموحدية إضافة إلى فئة من العبيد خلال موقعة الأرك للتدخل فيما بعد[50]، ناهيك عن مهام أخرى لا تقل أهمية كاستقبال الوفود الداخلية والخارجية القادمة من إفريقية والأندلس والمُنْظمَّة للدولة الموحدية، حيث يُقيم الجيش استعراضات عسكرية للترحيب بهم عن طريق رفع الأعلام وقرع الطبول، وكذا الألبسة المختلفة الألوان والأشكال، حيث تُقسَّم الدروع اللماعة على عبيد المخزن والجند من مختلف الأصناف[51].

وفيما يخُصُّ الزي الرسمي الذي امتازوا به فيذكر لنا ابن صاحب الصلاة (ت. 594هـ/1198م) أنه في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف (558-580هـ/1163-1184م) أمر أن يرتدي العبيد ثيابا مُلوَّنة، وهذا لتمييزهم عن باقي الفرسان والرجالة الذين تميزوا بالكساء والعمائم والبرانس مع حمل رايات الحرب[52].

أخيرا ينبغي ألا نُقلل من الدور الهام الذي لعبه العبيد السودان في تكوين الجيش من خلال المهام العسكرية المختلفة التي كُلِّفوا بها، بداية بالحرس الشخصي للخليفة وهي المهمة التي تدل على حجم الثقة والولاء الذي تمتعوا به، وكذا خلال المراسيم والاستعراضات العسكرية، إضافة للمهام القتالية المختلفة كتصفية المجرمين وردم الخنادق والحصون ومحاصرة المدن مثل ما حدث في حصار مراكش فقد أعطوا بذلك إضافة نوعية لتكوين الجيش.

و. العنصر المسيحي:

اختلفت الآراء حول تاريخ ظهور هذه الفئة في التشكيلات العسكرية للدولة الموحدية؛ فنجد المؤرخ مارمول Marmol يُرجِّع أول ظهور لها إلى فترة الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور، وهو الذي قام ببناء قصرين كبيرين أسكن فيهما مجموعة كبيرة من المسيحيين بلغ عددهم خمس مائة فارس إضافة إلى عائلاتهم، وأوكل إليهم مهمة الحرس الشخصي للخليفة[53].

أما الرأي الأنسب فهو الذي ذكره صاحب كتاب «**الحلل الموشية**» حيث يُرجِّح أنَّ أول دخول لطائفة النصارى كتشكيل عسكري في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي عندما جمعهم وحشدهم مع جيش الموحدين والرماة وأرسل على رأسهم القائد أبا حفص عمر بن يحي الهنتاتي لمقاتلة الثائر محمد بن هود الماسي الذي ادَّعى الهداية

تمثلا بالخليفة المهدي، فقُتِل هو وجنوده في هذه المعركة سنة 541هـ/1147م[54]، وهو الرأي الذي دَعَّمه هوبكنز J.F.P.Hopkinz نقلا عن الحولية اللاتينية لألفونس السابع Alfonso VII 1111-1126 م حول تاريخ ظهور هذه الفئة في بلاد المغرب وإفريقيا في قوله: «**إن الوفا كثيرة من الجند النصارى مع أسقفهم، وعدد كبير من رجال دينهم، وكانوا في عاصمة علي وابنه تاشفين ...**»[55] وهو ما يُؤكد وجود هذه الفئة في التشكيلات القتالية المرابطية وبروزهم في بلاد المغرب قبل ظهور الدولة الموحدية.

عسكريا كان لهم دور بارز في الدولة حيث أسهموا في الحصار الذي ضربه القائد عبد المؤمن بمدينة مراكش، على المرابطين بقيادة أبي إسحاق إبراهيم حيث تم قتله بعد ذلك بعد تواطئ جنده من النصارى مع الموحدين، وقد أورد صاحب كتاب «**الحلل الموشية**» نقلا عن ابن اليسع في قوله:« **حدَّثني من أثق به أنه لما أراد الله فتحها** (يقصد هنا مراكش) **داخل جيش الروم الذين كانوا بداخلها عبد المؤمن واستأمنوه فأمنهم، واتفقوا معه على أن يُدخلوه من الباب المعروف بباب أغمات.**»[56].

وتكرَّرَ اعتماد الخلفاء الموحدين على العناصر المسيحية في الجيش بالنظر للخبرة العسكرية التي يتميزون بها، وكذا أسلوبهم القتالي الثابت عكس المسلمين الذين كانوا يعتمدون على الكر والفر[57] بالإضافة إلى قُوَّتهم على تحمُّل الحروب الطويلة الأمد، كما أنهم يمتازون بأسلوب قتالي مميز في الخدع والتحصينات، وكذا أسلحتهم الثقيلة كالمنجنيق[58]. وهذا ما جعل الخليفة الموحدي المأمون (627-629هـ/ 1229-1231م) يستنجد بهم لمَّا نكث عشائر الموحدين العهد معه، معلنين البيعة لأخيه يحيى، فبعث برسالة إلى ملك قشتالة ليكون له سندا عليهم، وهو ما قُوبل بالموافقة مقابل شروط أملاها القائد النصراني فيرناندو الثالث Fernando III 1217-1252 بتسليمه عشرة حصون يختارها هو، بالإضافة إلى بناء كنيسة وسط مدينة مراكش يمارس فيها المسيحيون شعائرهم الدينية بكل حرية، فقبل الخليفة المأمون فبعث له 12 عشر ألف فارس[59]، وهو العدد الأقرب للصواب هذا لأن القائد الروماني كان يخرج في معاركه على رأس أكثر من 10عشرة آلاف فارس؛ غير أن ابن عذارى المراكشي لم يذكر أيَّ شروط بين الطرفين وقد قُدِّر عدد الجند الروم بـ500 مائة فارس[60]، واستطاع المأمون التفوق في هذه المعركة نظرا للخبرة الكبيرة والأسلحة التي يملكها الجنود النصارى المتمثلة في الدروع الحديدية التي كانوا يحملونها[61].وفي هذا الخصوص قد لا يهمُّنا العدد بقدر ما يهمُّنا مشاركة النصارى إلى جانب الجيش الموحدي في مختلف معاركه.

ز. عنصر الأغـــــــــزاز:

يبقى ظهور هذا العنصر في بلاد المغرب محل دراسة عميقة، حيث أنه من المُرجح أن قُدومهم لم يكن صدفة أو للبحث عن مناطق للاستقرار والرعي، بل بأمر من القائد صلاح الدين الأيوبي (567-589هـ/1174-1193م)، وهذا بعد استتباب الدعوة الموحدية في بلاد المغرب والاندلس حيث خشي القادة في بلاد المشرق من طموح الموحدين الجامح في تكوين خلافة إسلامية تَضُم بلاد المشرق والمغرب، وهذا ما أفصح به الرحالة ابن جبير (ت. 614هـ/1217م) في رحلته إلى بلاد المشرق الإسلامي فالكل كان يتوقع قدوم الموحدين للمنطقة[62]، والمرجَّح أن يكون القائد قراقوش أحد كبار القادة لدى صلاح الدين الأيوبي، فأرسله على رأس جيش الغز قصد القضاء على الموحدين فكان أول ظهور لهم سنة 568 هـ/1173م، حيث مد يد المساعدة لقبائل العرب وبني غانية الذين كانوا في صراع معهم[63] وهناك رأي يُفيد بأن هذه الطائفة تَمَّ شراؤها من مصر[64] مثلها مثل بقية العناصر وتجنيدها في الجيش، وهو الرأي الذي لم يلقى الإجماع باعتبار أنَّ هذه القبائل قد تحالفت منذ قدومها مع قوى مُعارِضة لغرض إفشال المشروع الموحدي الرامي إلى إنشاء خلافة موحدية تَضُم عدة أقطار.

وفيما يخص تعريف هذه الفئة وطريقة قُدومها فنجد أن المؤرخ رينهات دوزي Reinhart Dozy يعرِّفهم بقوله: «**الغز تطلق في الأصل على قبيلة من الترك، غير أنهم أطلقوها على الأكراد، وقد جاؤوا إلى بلاد المغرب منتصف القرن الثاني (12) عشر ميلادي بقيادة قراقوش، ثم انضموا شيئا فشيئا في جيش الموحدين رماة بالقسي، وكانت تسمى قسي الغز ... وقد احتلوا مكانة مرموقة في الدولة خاصة في عهد الخليفة المنصور، ثم تراجع دورهم تدريجيا فَكَوَّنوا ما يعرف بالشرطة ومهمتهم معاقبة المسجونين ومرتكبي الجرائم**»[65].

ويُرجِّح المراكشي أن ظهور هذا العنصر كان سنة 582هـ/1186م، حيث انضموا إلى قبائل بني هلال في طريقهم لقتال القبائل الموحدية فهاجموا على المناطق الشرقية للدولة، فقتلوا وشرَّدوا من الموحدين العدد الكثير، بعدها هرب الموحدون إلى تونس طالبين النجدة من أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور الذي حشد جيشا سار به إلى مدينة قفصة سنة 583هـ/1187م[66] وقاد هذه الحملة العسكرية بنفسه، حيث شتَّتَ صفوف العرب ومن وَالَهُم من بني غانية والأغزاز بقيادة قراقوش، وبعدما اشتد عليهم الحصار نزلوا إليه مستسلمين طائعين فقبل الخليفة خضوعهم[67] واستطاع بدهائه أن يستغل القوة التي يتمتعون بها وإمكانية الاستعانة بهم مستقبلا، حيث كوَّنوا دعامة أساسية معه وظهرت ثمار ضَمِّهم للجيش في الانتصار الكبير الذي حَقَّقَه الموحدون في معركـة الأرك سنـة 591هـ /1195م[68].

احتل الأغزاز بعدها مكانة مرموقة في الدولة، فقد كان الخليفة المنصور يُولي أهمية بالغة لهذه الفئة فمنحهم بذلك مكانات في الجيش، وميَّزهم عن بقية العناصر في الجيش بناء على ما ذكره المراكشي في قوله:« **الموحدون يأخذون الجاميكية**[69] **ثلاث مرات في كل سنة، في كل أربعة أشهر مرة، وجاميكية الغز مستمرة في كل شهر لا تختل...**»[70] وهذا ما فسَّره الخليفة المنصور على أنهم عناصر غريبة عن المنطقة ولا يملكون ما يعيشون عليه عكس الموحدين الذين يملكون الأراضي والأملاك الكثيرة، وهو ما فنَّده عبد الواحد المراكشي جملة وتفصيلا، فهناك من القادة الغز من يملك من الأراضي والجاه مالم يكن لأحد من الموحدين[71] ، وهذا ما يُؤكد المرتبة الرفيعة التي وجدتها هذه الفئة في كنف الدولة.

واستمر اعتماد الخلفاء على عنصر الغُزّ في معاركهم المختلفة، فقد تم الاستعانة بهم سنة 597هـ/1201م لإخماد ثورة عبد الرحمن الجزولي الذي أثار اضطرابا كبيرا في أوساط الموحدين، فبالرغم من المعارك العديدة التي شُنَّت عليه، إلّا أنه استطاع في كل مرة أن يُكَبِّد الموحدين خسائر كبيرة في العدة والعتاد، لكنَّه لم يستمر في ذلك حيث تم حشد جيشا من أصناف الجند، والجنود الغز الذين كَوَّنوا الفئة الكبيرة من جُند الرماة[72] واتَّجهوا بحملة عسكرية على معاقله فهزموه وقطعوا رأسه وأخذوه إلى الخليفة في مراكش[73] ووُكِّلت لهم في العديد من المرات مهمة الطليعة أو مقدمة الجيش في مختلف المعارك[74].

لا ريب أنَّ اعتماد الخلفاء الموحدين على هذا العنصر، لم يكن اعتباطيا، بل كان نتيجة للتمرس والكفاءة التي أَبْدَاها هؤلاء الغز في المعارك مع صلاح الدين الأيوبي في بلاد المشرق، وكذا مع القبائل العربية وبنو غانية ضد الموحدين أنفسهم. وهو ما أكسب الجيش الموحدي طفرة نوعية إضافية في تركيبته العسكرية بإضافته عنصرا جديدا لم يكن موجودا في عهد الدولة المرابطية، ما أَثَّر إيجابا على إخماد الكثير من الثورات الداخلية والخارجية في كلا العُدوتين.

ح. العنصر الأندلسي:

دخل هذا العنصر للجيش الموحدي كغيره من العناصر المكونة للجيش، تارة نجدهم طواعية وتارة أخرى بِحد السيف، وهذا ما كان في عهد القائد الموحدي عبد المؤمن بن علي لمَّا فتح إشبيلية بعد معارك ضارية ما أرغمهم على الاستسلام، فأرسلوا وفدا أندلسيا إلى مقره بمراكش طالبين النجدة ورفع الظلم المفروض عليهم من قبل المسيحيين هناك، وهو ما قَبله الخليفة[75]، وكان ردُّه أن أرسل إليهم جيشًا قوامه 30 ألف فارس تعاونوا معهم في القضاء على ثورة ابن حدو[76] ما يؤكد العلاقة الحسنة مع الأندلسيين، فقد كَوَّنوا النواة الأولى للجيش الموحدي حيث تم تجنيدهم من شبه الجزيرة لاستخدامهم في الجهاد[77]، لما عرف عنهم من القدرة والخبرة والمهارة بالنظر للمعارك الكثيرة التي خاضوها[78].

انضم الأندلسيون إلى جيش الموحدين طواعية في العديد من المرات، فنجدهم في عهد عبد المؤمن وأثناء قضائه على ثورة ابن مرنديش سنة 560هـ/1169م، حيث أطلق سراح الأسرى الأندلسيين لدى النصارى ومنحهم الأموال والخيل والأسلحة، وأوصى بضرورة معاملتهم معاملة حسنة وهو ما جعلهم يندمجون بسرعة في المهام العسكرية للجيش[79]. ولا شك أن هذا الانسجام السريع راجع أيضا إلى سياسة الخلفاء التي تتسم بالليونة والذكاء لكسب أطراف جديدة تساعدهم في الجهاد، فقد أحسنوا التعامل مع القادة الأندلسيون حيث تم مساعدتهم في ثوراتهم الداخلية حيث كانوا يمدونهم بأحسن القادة وأفضل المقاتلين[80].

شارك الأندلسيون إلى جانب الجيش الموحدي في كثير من المعارك والحروب مثل اشتباكهم مع جيش النصارى بين وادي آش وغرناطة، وكان ذلك سنة 563هـ/1167م أين تم حشدهم مع الرماة والرجال، وتمكنوا خلالها من إحداث التفوق وجمع العديد من الغنائم والخيول والدواب إضافة إلى أسر ثلاثة وخمسين نصرانيا وبذلك أضافوا منطقة نفوذ جديدة [81]. بالإضافة إلى مشاركتهم مع الخليفة المنصور في حشد الجيوش في موقعة الأرك، بعدما طلب المشورة من أمرائه أولا ثم من الأندلسيون الذين قدموا له القائد أبي عبد الله بن صناديد لينوب عنهم من خلال إمداد الخليفة بالأسلوب الواجب انتهاجه في مثل هذه المعارك وبالخطة التكتيكية المبنية على نسقين قتاليين نسق أول ونسق ثاني، مع مراعاة عدم إشراك الجيش كله في ميدان المعركة، بل يجب أن يبقى نسق ثاني في الاحتياط ثم يهاجم فيما بعد، وهذا بالنظر إلى معرفة القائد الأندلسي بالخطط الحربية للنصارى المبنية على الخدع والكمائن[82]. وقد كَلَّفه الخليفة بحشد جيشه ووضعهم في طليعة الجيش حيث نادى في عسكره قائلا: «**اثبتوا معشر المسلمين، ثبت الله أقدامكم بالعزمة الصادقة.**»[83]، وبهذا انتصر الموحدون في هذه الموقعة الفاصلة، بفضل دهاء وحنكة القادة الأندلسيين.

مما سبق نخلص إلى أنَّ العنصر الأندلسي شَكَّل دعامة أساسية في تكوين الجيش وإمداده ليس بالعدة والعتاد فحسب، بل بالخبرة العسكرية المترجمة في الخطط الحربية التي تفنن فيها قادته، فقد كانوا العقل المدبر في الحروب ضد النصارى، لما لهم من دراية بمسالك بلاد الأندلس، وهو ما أثَّر إيجابا على توسيع مناطق نفوذ الدولة.

2. تنظيم الجيش الموحدي 1958:

بعد إرساء معالم الدولة الموحدية وقواعدها في بلاد المغرب والأندلس، وبداية تكوين جيش نظامي مستقل من خلال تعدد العناصر المشكلة له من مختلف القبائل الموحدية، والقبائل البربرية والعربية، إضافة إلى قوى عسكرية أجنبية كالغز والأندلسيين، والعبيد القادمين من بلاد السودان الغربي، وهو ما أكسب الجيش تطورا نوعيا من خلال التسليح وطرق وأساليب القتال المختلفة، وبالنظر للكم الهائل من الأخطار الداخلية والخارجية المحيطة بالدولة، فكان لابد من تقسيم الجيش لوحدات كبرى بغية تسهيل عملية الإعداد والتدريب وتنفيذ المهام الهجومية والدفاعية التي تصدرها القيادة، فبالإضافة إلى التقسيم الذي كانت تمثِّله كل قبيلة، تم تقسيم الجيش إلى فرق عسكرية لكل فرقة دورها في مراحل القتال المختلفة.

أ. فرقة الفرسان والخيالة:

تعتبر هذه الفرقة هي النواة الأولى في تكوين الجيش الموحدي حيث مَثَّلت القوة الرئيسية في عهد المرابطين، ثم في عهد الخليفة المهدي، أين تم استخدامها بالإضافة إلى عدد كبير من المشاة في حصار مراكش[84] ، فكانت سياسته واضحة منذ البداية من خلال الاستعداد الدائم للحرب مع المرابطين و التوسع داخل المغرب أولا، ثم افريقية وبلاد الأندلس ثانيا، وبعد وصوله لقبيلة هرغة سنة 514هـ/1120م، أعطى أهمية قصوى لتجهيز الجيش وخاصة الفرسان، حيث أمر بتشييد الحظائر ومرابط الخيول وأماكن أكلها، وشَجَّع على ذلك من خلال استراتيجية ذكية تمثلت في إعطاء خيلين لكل من يبني مذودا (مكان أكل الخيل)، وإثنين لكل من يبني مذودين[85].

تواصلت سياسة القادة الموحدين بعده بالتركيز على التجهيز الحربي وخاصة فرقة الفرسان، وهذا ما نجده عند قائد الجيش عبد المؤمن بن علي الذي أعطى عناية مستمرة لهذه الفرقة، حيث أمر بحشد الجيش وتنظيمه من خلال السهر على تلقينه كل أساليب وفنون القتال، فقد كان يجتمع مع جيشه وطلبته كل صباح جمعة يعلمهم فيها مبادئ الفروسية وطريقة الركوب والرمي والسباحة[86]، وسمح لهم أيضا بقراءة كتب الفروسية وغيرها عكس ما كان شائعا في عهد الدولة المرابطية وهوما أَثَّر إيجابا على المقاتلين[87]،وقد كان عدد الفرسان في عهده أكبر من عدد المشاة و الرجالة[88]. واصل عبد المؤمن اعتناءه بفرقة الفرسان وتطويرها، حيث وفي طريقه لمراكش استعدادا للجهاد في بلاد الأندلس سنة 546هـ/1152م أَمَرَ بشراء الخيول من كافة بلاد إفريقيا وقام بتوفير الأعلاف والأسلحة المختلفة من سيوف ودروع وتروس، بالإضافة إلى لباس الفرسان والمتمثل في البرانس والعمائم[89]، وتمكن من جمع قرابة 300 مائة ألف فارس من قبائل العرب وزناتة والبربر، و80 ألفا من المتطوعين[90]،

وهذا ما يؤكد العدد الضخم الذي كانت تمثله في التشكيل القتالي للجيش الموحدي.

كغيرها من الفرق في الجيش الموحدي كان لهذه الفرقة رتب وتصانيف مختلفة، وقد تم تقسيمها حسب الرتب إلى فارس كامل وفارس غير كامل، وهو يختلف عن الفرسان من قبائل العرب، ولعل هذا التباين راجع إلى الاختلاف في المهام القتالية المسندة لكل طرف، وأيضا التمييز مس الرواتب والغنائم والعطاء فيقول ابن صاحب الصلاة:«**...قَدِمَ الموحدون في تنفيذ البركة لهم فخرج للفارس الكامل منهم عشرة دنانير، ولغير الكامل ثلاثة دنانير، وأمر للعب ببركتهم فخرج للفارس الكامل خمسة وعشرون دينارا ولغير الكامل منهم خمسة عشر دينارا**[91].» فهناك من الفرسان من توكل لهم مهمة حمل الطبول أثناء الحرب[92]، وقُدِّر عددهم مائة فارس يسيرون في مقدمة الجيش مع موكب الخليفة[93].

أسهمت فرقة الفرسان بشكل كبير في إنجاح الخطط الحربية، فقد تم الاعتماد عليهم في خطة عبد المؤمن التربيعية فكانوا سببا مباشرا في نجاحها من خلال جعلهم في وسط المربع القتالي، وترك لهم فتحات بين الصفوف من المشاة والرماة والجنود كي يخرجوا منها فيضربوا الخصم بالسرعة الفائقة ثم يُكِرُّون إلى وسط المربع مرة ثانية[94]. وحَقَّقَت نتائج باهرة باعتبارها خطة جديدة لم يتم استخدامها من قبل وهذا راجع دون شك للمنهجية التدريبية التي أَعَدَّها عبد المؤمن لهذه الفرقة وكذا القادة العسكريين بعده، فقد شاركت هذه الفرقة في الاستعراضات العسكرية المختلفة فنجدهم في عهد ابنه أبي يعقوب في مراكش أدهشت الحضور لما للفرسان من لياقة وتدريب عاليين من خلال سرعة الحركة والالتفاف وهذا ما يَدُلُّ على تدريبهم ومهارتهم الجيدة[95].

وبهذا اعتُبِرت هذه فرقة إحدى اللبنات الأولى للجيش الموحدي، باعتبارها شكلت القوة الرئيسية للجيش المرابطي، وهو ما ورثه الموحدون، إضافة إلى دورها الهام في المعارك فقد كانت تستخدم لضمان السرعة في التنقل والحركة، وكذا مهمة دوريات الاستطلاع لاستكشاف مواقع العدو وعدته وتعداده وتشكيله القتالي، إضافة إلى دورها القتالي المتمثل في الضرب والاختراق لنقاط القوة والضعف للعدو مع إمكانية ملاحقته في مختلف التضاريس، وكذا تطبيق الخطط الحربية المبنية على الكر والفر وهذا ما جعل اعتناء الخلفاء بها وتطويرها بشكل مستمر.

ب. فرقة المشـاة و الرجالة:

اكتست هذه الفرقة أهمية عسكرية كبرى في الجيش الموحدي بداية بعهد المهدي بن تومرت، حيث مَثَّلت هذه الفرقة الغالبية الكبرى من الجيش[96]، وتواصل اعتناء الخلفاء بهذا العنصر خاصة في عهد عبد المؤمن بن علي القائد العسكري الذي أولى عناية وترتيبات صارمة وحازمة للجيش، وقد كانت استراتيجيته العسكرية تقوم على أن فاعلية القوة العسكرية لا تكمن في العدد الضخم بالقدر ما تكمن في الخبرة والكفاءة والقدرة القتالية وهو الذي أعطى قيمة إضافية لعنصر المشاة من خلال التدريب الجيد والتسليح بالقسي[97] والخوذات والحراب، فبالرغم من وجود عدد كبير من الفرسان؛ إلا أنه كان يُفَضِّل فرق المشاة أو الرجالة لأنَّه يعتقد أنها هي المفتاح الرئيسي في الحسم والاقتحام السريع أثناء المعارك واحتلال المناطق[98] وقد بلغ عدد الجند المشاة في عهده حوالي 70 ألف رجل زيادة على عدد الفرسان، مُنَظَّما على أربعة أقسام[99]، وحوالي 100 ألف رجل إضافة إلى المتطوعة وهذا سنة 557هـ/ 1161م في إطار تحضيراته العسكرية الأولية لغزو بلاد الأندلس[100].

بخصوص تجنيد فرقة المشاة فهو لم يختلف عن طريقة التجنيد لدى المرابطين فقد انضم في بادئ الأمر هؤلاء الجند وغيرهم طواعية، وعلى إثر الحروب التي خاضها الجيش الموحدي والذي نتج عنه اتساع رقعة الحرب ومناطق النفوذ فصار لزاما وإجباريا على كل قبيلة من القبائل إرسال المقاتلين والأسلحة والخيول خاصة في حالات الاستنفار القصوى والطوارئ، حيث يتم تجنيدهم وتدريبهم وتهيئتهم للزج بهم في مختلف مراحل القتال[101].

الواقع أَنَّ تصنيف هذه الفرقة ورُتَبها كان يخضع حسب الرتب فنجد الفرق في توزيع الغنائم والأملاك على جندي المشاة، فيذكر ابن صاحب الصلاة تصنيفين لجندي المشاة، الصنف الأول يتمثل في الرجل الكامل حيث يمنح خمسة دنانير، والصنف الثاني الرجل غير الكامل ويمنح ثلاثة دنانير، والرجل من العرب سبعة دنانير[102]، وهذا الفرق في العطاء قد يرجع إلى اختلاف المهام القتالية الموكلة لكل رتبة.

وبخصوص الأسلحة التي اعتمدتها هذه الفرقة في حروبها فهي تتمثل في أسلحة خفيفة كالحراب و الطوارق المانعة[103] بالإضافة إلى المخالي (الملحق 02) والسيوف بناء على توضيح صاحب «الحلل الموشية» في وصفه للخطة التربيعية التي انتهجها الجيش الموحدي[104]، وهي أسلحة فردية خفيفة وسريعة الاستعمال، واعتمد الخلفاء على هذه الفئة بالنظر إلى سرعة تجهيزها وتسليحها. وقد شكلت بذلك فرقة المشاة عنصرا حاسما في كل المعارك والحروب مثل فتح مراكش والحصار الكبير الذي ضرب هناك[105]، إضافة إلى مشاركتهم في إخماد الثورات المختلفة ضد الدولة مثل قبيلة دكالة الصنهاجية سنة 544هـ/1149م[106].

مما تقدم ذكره يتضح أن هذه الفرقة شَكَّلت عنصرا هاما وأساسيا في المعارك المختلفة التي خاضها الجيش الموحدي، ففرقة المشاة تمثل عنصر السيطرة والحسم والاختراق، فقد كانت جزءا من الخطط الحربية المختلفة بالرغم من تطور الأسلحة وظهور آلات الحصار، وتتمثل مهمتهم أيضا في حفر الخنادق والحصون. وهي تمتاز بسهولة التسليح والتجهيز، وقابلية أداء المهام القتالية في مختلف التضاريس الطبيعية ومختلف الفصول، فقد مثلت بذلك قوة عسكرية إلى جانب الفرق الأخرى المكونة للجيش.

ج. فرقة الرمـــــــــــاة:

يعود الظهور الأول لهذه الفرقة في عهد مؤسس الدولة المهدي بن تومرت إثر مبايعته من طرف قبائل هرغة وتنملل وهنتاتة، حيث بدء في تكوين النواة الأولى لجيشه استعدادا لبناء دولته وحمايتها، فقام بتقسيم قبائله وأتباعه إلى ثلاثة عشر صنفا، وقد مَثَّل الصنف الأخير صنف الغزاة أو الرماة على حَدِّ قول صاحب الحلل، حيث قام الخليفة بتنظيمهم تنظيما عسكريا محكما مبني على الرتب والمكانة العسكرية لكل رتبة: «**...فلكل صنف رتبة لا يَتعدَّاها إلى غيرها لا في سفر ولا في حظر، ولا ينزل كل صنف إلا في موضعه، لا يتعداه، فانضبط أمره وأقاموا على ذلك مدة حياته.**»[107].

اعتمد الموحدون على هذه الفرقة من الجيش بالنظر لأهميتها العسكرية أثناء الحروب والمعارك، فهي تكبّد العدو خسائر كبيرة دون أن تَتَواجه معه، فمبدؤها الرئيسي يتمثل في الرمي عن بعد من خلال كثافة رمي السهام، فنجد أنها قد أصبحت من مكونات الخطط الحربية الموحدية مثل ما حدث مع قائد الجيش الموحدي عبد المؤمن وخطته التكتيكية العسكرية المعروفة بخطة المربع، حيث كوَّن الرماة الصف الرابع حاملين الرماح والسهام والأقواس، وقد كانوا سببا في نجاح العديد من المعارك[108] وبلغ عددهم في عهده إضافة لعنصر المشاة 10 آلاف من الجنود المتسلحين بالخبرة والمهارة في استخدام السهام[109].

وبحكم أَنَّ التدريب له أهمية كبيرة في تربية الجند وصقل معارفهم العسكرية بداية بالتدريب البدني والمحافظة على اللياقة العالية للجند، ثم التحضير الذهني والنفسي للمقاتل، ومنه إلى تعلُّم استخدام السلاح، فقد كان عبد المؤمن بن علي يولي أهمية بالغة للتدريب العسكري لهذه الفئة من الجيش ، وهذا ما جعله يقف شخصيا على تمارين القتال والتدريب المستمر، فيورد لنا صاحب الحلل طريقته في التدريب فيقول: «**... ويأخذهم يوما للرمي بالقوس ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة...ويوما يأخذهم أن يجذفوا على قوارب وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة ...**»[110] وهدفه بذلك تكوين إطارات محنكة في مختلف المجالات تسهم في تنظيم مؤسسات الدولة[111]. وهذا دليل على أن الجندي من الرماة في الجيش الموحدي مثله مثل باقي الفئات، قادر على القيام بكل الأدوار والمهام التي يُكَلَّف بها من خلال إمكانية اعتباره من الرجالة ومن الفرسان فقد تعلم كل فنون الحرب وأساليب القتال.

شكلت فرقة الرماة القوة الضاربة في معظم الحروب والمعارك التي خاضها الجيش الموحدين، وهذا ما يُؤكدُه التطور الكبير في التصنيع الحربي للأسلحة المختلفة التي تستعملها هذه الفرقة، فنجد في عهد الخليفة عبد المؤمن وإثر استعداد جيشه لغزو الأندلس سنة 557هـ/1162م كان يصنع في اليوم كَمٌّ هائل من سلاح السهام وقد قدرت بعشرة قناطير تم تجهيز الجيش بها[112].

وكان لهذه الفرقة مشاركات هامة في كل الحروب والمعارك، ومثال ذلك الاستعانة بها من خلال فرقة تم إضافتها مع جيش من النصارى بقيادة أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي لمحاربة التوتر والثورة الداخلية التي أحدثها محمد بن عبد الله الماسي سنة 541هـ/1147م في

بلاد السوس الأقصى[113]، و لهم مساهمات أخرى تمثلت في كبح جماح ومحاربة قبائل دكالة الصنهاجية[114]، بالإضافة إلى أنهم نجحوا في مختلف المهام القتالية الموكلة لهم فقد مَثَّلوا طرفا فاعلا في موقعة الأرك في عهد الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور حيث كلفهم بمهمة في مقدمة الجيش، وقد حقق بذلك إحدى أهم الانتصارات على القوى النصرانية في بلاد الأندلس حيث أسر 20 ألف مقاتل[115].

وعلى العموم فقد تمكنت هذه الفرقة من فرض نفسها في الجيش من خلال مشاركاتها المستمرة في أعتى المعارك والحروب التي خاضها الموحدون في العدوتين، فلم تخل معركة إلا وشاركت فرقة الرماة محققة بذلك الانتصارات، بالنظر لدورها الفَعَّال في الحرب من خلال رشق العدو بوابل من السهام قبل المعركة التصادمية معه خاصة إذا كان الجيش في حالة الدفاع لكون الرامي يرمي من وضعية الثبات، وبالتالي الدقة في الإصابة والقنص عكس الرمي من الحركة، وهذا ما يُؤَدِّي إلى تشتيت صفوف الخصم من خلال إجباره على مغادرة أماكنه الهجومية قصد الاحتماء، وبالتالي تَكْبيده خسائر في العدة والعتاد وإضعاف إرادته وتثبيط معنوياته ما يُسَهّل مهمة التغلب عليه بعد التحام الجيشين.

د. فرقة الطبالـــة:

استعملت الطبالة في الحروب منذ القِدَمْ، فيروى أنّ الجيش المرابطي استعملها في معاركه المختلفة أيضا، وحسب ابن خلدون فإن صوت الطبول له تأثير كبير على النفوس والمعنويات، فمن جهة يدخل الشجاعة والرغبة في الانتصار في صفوف المقاتلين، ومن جهة أخرى يُشَتِّت تفكير العدو ويزرع الخوف في نفسيته، وأيضا التأثير على استقراره وصفوفه من خلال ازعاج الإبل والخيول التي يركبها[116]. ويقول عنها بن منكلي الناصري (ت. 784هـ/1382م): « **إن الذي يكون قبل الأسماع: أشد تحريكا لأفئدة الرجال وأشد هزا لطبائعهم وتحريضا لهم وأربط لجأشهم وأكسر لقلة أعدائهم وأفت في أعضادهم وأدخل للذعر والوجل عليهم.**»[117] وبالتالي فلها أثر كبير على الجانب المعنوي للمقاتل فهي بمثابة حرب نفسية يتم شنها على العدو من أجل إضعافه.

ويعود ظهور هذه الفرقة إلى عهد الخليفة المهدي، فكان صوت الطبل إيذانا بالحرب والمسير حيث اسْتُعْمل في عهده طبولا مربعة الشكل لتتطور فيما بعد وتصبح مستديرة الشكل، حتى بلغ عدد الطبول بعدها مائة طبل في عهد الخليفة عبد المؤمن[118].وهي مصنوعة من الخشب وجلد الحيوانات ولونها أخضر مرصَّع باللون الذهبي[119] تُحْمَل من طرف الفرسان والمشاة أثناء المعارك حسب حجمها[120] وقد كان لها دور هام في حشد الجيوش الموحدية ومسيرها، فهي تُقرَع في حالة التوقف أو المسير أو الحشد للقتال، وما هو كبير جدا لدرجة أنها كانت تسمع من مسيرة نصف يوم[121]. ومكانها في المعركة في المقدمة خلف حرس الخليفة مباشرة، ومن ورائهم الأسياد والأمراء المستشارين في الدولة[122].

وفيما يخص استخدامها في الحروب والمعارك المختلفة، فقد كان لهذه الفرقة دور في إيصال أفكار القائد وأوامره المختلفة من خلال عدد الطرقات على الطبل، فنجد أن الضرب ثلاث ضربات دليل على أن الجيش في طريقه للرحيل والاستعداد للمغادرة[123]، ونجد أيضا أن القائد العسكري عبد المؤمن وأثناء تأديبه لقبيلة جزولة أمر بضرب الطبل ضربة واحدة فاستعدت وتحركت الجيوش لميدان المعركة من عبيد وفرسان محققين بذلك انتصارا كبيرا[124]، ولا شك أن عدد الضربات هو عبارة عن مصطلحات عسكرية ورموز متعارف عليها بين أفراد الجيش و تم التدرب عليها مرارا وتكرارا، فنجد أيضا استعمالها في الخطط العسكرية من خلال نصب الكمائن والخدع والمكائد التي تُوقِع بالخصم. ويروي لنا صاحب كتاب: «**الحلل الموشية**» دور هذه الفرقة في حصار مراكش قائلا: « **...ولما وصلوا إلى مقربة سور المدينة التي بناها عبد المؤمن بالجبل المذكور، وَعِلم عبد المؤمن بأن أكثر أهل مراكش من الفرسان والرجالة خرجوا، فأمر بضرب الطبول، وخرجت الكمائن فمات في ذلك اليوم من أهل مراكش ما لا يعد ولا يحصى ...**»[125] وهذا دليل على مساهمتهم في نجاح الخطط والتكتيكات الحربية، كما تم استخدامهم في الاستعراضات العسكرية في حالات تحقيق النصر في المعارك المختلفة[126].ولعل الاستعراض العسكري الكبير الذي نظمه الخليفة أبو يعقوب في مراكش لأخيه أحسن مثال حيث قُرعت الطبول في ذلك اليوم يوما كاملا دون توقف[127].

ومن خلال ما سبق بيانه، تتجلى لنا الأهمية الكبيرة التي تختص بها هذه الفرقة في الجيش الموحدي من خلال ترجمة أوامر القادة العسكريين على ضربات الطبل في مختلف مراحل

القتال، بداية بالرحيل واستكمال السير ثم التجمع لبداية القتال، وأيضا مهام حساسة في قلب المعركة بالإعلان لخروج الكمائن والجيوش في الوقت والمكان المناسبين، بالإضافة إلى المهام الأخرى المتمثلة في الاستعراضات العسكرية ومراسيم استقبال القادة والجنود المنضمين للجيش.

وتجدر الإشارة على أننا لم نتطرق في هذا المقال للشق الثاني من قوة الجيش وهي البحرية الموحدية، بحكم أنه تم دراستها كمقال في العدد الأول من المجلة، حيث تم التطرق للعوامل المساعدة على إنشائها واهتمام الخلفاء الموحدين بها بالنظر للانتصارات الكبرى التي حققتها خاصة في بلاد الاندلس[128].

خاتمـــــــة

مما سبق تخلص الدراسة التي بين أيدينا إلى العديد من النتائج والاستنتاجات نوردها فيما يلي:

- الاستفادة الكبيرة للموحدين من العناصر والفئات التي انضمت للجيش، والتي كانت أغلبها سببا في بقاء واستقرار الدولة المرابطية من قبل، من خلال الاعتماد على الخبرة والحنكة العسكرية التي تمتعت بها هذه العناصر من أجل بناء جيش موحدي نظامي، وهذا التنوع بالذات نَتَج عنه تَنَوُّعا وتجديدا في النهج القتالي من جهة، ومن جهة أخرى تطورا في الأسلحة الثقيلة والخفيفة التي تم إضافتها مع هذه العناصر مثل: المجانيق، والمخالي، والقِسِيِّ.

- اهتمام الخلفاء الموحدين بالعنصر البشري باعتباره أساس قيام الدولة والجيش من خلال السهر على التدريب الجيد النفسي والبدني، وهذا بتعلم أساليب الفروسية وطرق الرمي والقنص والسباحة ما نتج عنه تكوين إطارات مُلمة بمختلف فنون الحرب جاهزة للزج بها في مختلف الحروب.

- التركيز على التنظيم المحكم والتنسيق القيادي بين التشكيلات القتالية أثناء المعارك والحروب، من خلال التقسيم الأولي المتمثل في التنظيم القبلي والعرقي واعتبار القبيلة بمثابة تشكيلة قتالية، وأيضا ومع تزايد أعداد المنضمين للجيش صار لزاما تقسيمهم إلى فرق عسكرية لها مهامها المختلفة كالفرسان والرجالة والطبالة وفرقة الرماة، وهذا كي يسهل توزيعهم القتالي في ميدان المعركة وبالتالي يحول دون تداخل الأدوار بينهم.

- اهتمام الخلفاء بالفرق العسكرية تجلى أيضا في تطور مجال التسليح والتصنيع الحربي حيث تم استحداث مراكز محلية لصناعة الأسلحة المختلفة، وهو ما أثَّر إيجابا على تطوير المؤسسة العسكرية الموحدية وتنوع مكوناتها ونجاحها في كسب رهان التفوق والتوسع واخضاع بلاد المغرب والاندلس لأكثر من قرن من الزمن.

- تراجعت قوة الجيش الموحدي في أواخر عمر الدولة نتيجة لانتكاسات أصابته كانت من بين الأسباب التي عجلت بسقوط الدولة ، وتمثلت في اختلاف التعامل مع العناصر العسكرية والتمييز بينهم، و المبالغة في تكريمهم وتوزيع الأراضي عليهم، بالإضافة إلى التهميش الذي طال قبائل المصامدة من طرف الخلفاء الموحدين وخاصة الخليفة المأمون والتي كانت من قبل إحدى الركائز الأساسية في قيام الدولة فبفضلها استطاع المهدي بناء دولته، وهو ما خلق انفصالا بين الدولة والقبائل الموالية ما أدى إلى تدهور الأوضاع وبالتالي سقوط الدولة الموحدية.

المصادر والمراجع:

1- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الهرغي المصمودي المعروف في كتب التاريخ بالمهدي بن تومرت، ولد بقبيلة هرغة سنة 485هـ/1092م، ورحل إلى بلاد المشرق في شبابه فحج ودخل للعراق، ثم عاد للمغرب فبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه لتأسيس دعوته الموحدية، وقد التقى بعبد المؤمن بن علي بقرية ملالة قرب بجاية فاصطحبه معه الى المغرب وشرعا في حركتهما التي انتهت بقيام الدولة الموحدية توفي سنة 524هـ/1129م، ودفن بقرية تنملل قرب مراكش. للمزيد من الشرح والإيضاح حول هذا الموضوع ارجع إلى: محمد بن غازي العثماني: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تح. عبد الوهاب بن منصور، ط. 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1408 هـ/1988م، ص. 33.

2- أبو العباس القلقشندي (ت. 821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915، ج.5، ص.134.

3- د الرحمن ابن خلدون (ت. 808هـ/1405م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1431هـ/1992م، مج .6، ص.269.

4-عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، صحَّحه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949، ص. 340.

5- نفسـه، ص.341.

6- ابن خلدون: المصدر السابق، م. 6، ص.269.

7- محمد زنبير: **المغرب في العصر الوسيط الدولة-المدينة-الاقتصاد**، تح. محمد المغراوي، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1420هـ/1999م، ص. 128.

8- مؤلف مجهول (ت. 783هـ/1381م): **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح. الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ص.109؛ ابن القطان المراكشي: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح. محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص.82.

9- المراكشي: المصدر السابق، ص.191.

10- جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية،1991، ص.294.

11- هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى الكرمي، ولد سنة 487هـ /1094م قرب ساحل تلمسان رحل إلى بلاد المشرق للحج، وأثناء عودته التقى بالمهدي بن تومرت، ولما مات هذا الأخير بويع عبد المؤمن بن علي خليفة للدولة الموحدية فبدأ نشاطه بالقضاء على الدولة المرابطية، وحقق انتصارات كبيرة، وأنشأ دولة موحدية عظيمة، توفي عام 558ه /1163م وهو في طريقه للغزو في بلاد الأندلس، وقد دفن بجوار سيده المهدي في مراكش. انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت. 681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مج. 3، ص.237؛ محمد بن غازي العثماني: المرجع السابق، 21.

12- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص.192.

13- الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م**، تر. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج.1، ص. 429.

14- ابن خلدون: المصدر السابق، م. 6، ص.200.

15- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.131.

16- الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج.2، ص. 141.

17- البكـــري (ت. 487هـ/1094م): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص.166.

18- أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق (ت. 555هـ/1160م): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور، الرباط، 1971، ص.89.

19- ابن خلدون: المصدر السابق، م.7، ص.3.

20- نفســـــــه: ص.8.

21- صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص.76.

22- ابن عذارى المراكشي (ت. 712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب**، تح. محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنبير، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1985م، ج .5، ص.18.

23- فتحي زغروت: **الجيوش الإسلامية وحكة التغيير في دولتي**

المرابطين والموحدين (المغرب والاندلس)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2005، ص.83.

24- ابن خلدون: المصدر السابق، م.7.ص.86.

25- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص.85.

26- ابن خلدون: المصدر السابق، م. 6، ص-ص.17-18.

27-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية**، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ج.2، ص.120.

28- محمد بن منكلي (ت.784هـ/1382م): **الأدِّلة الرسمية في التَّعابي الحربية**، تح. اللواء الركن محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1409هـ/1988م، ص.193.

29-خميسي بولعراس: **فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري** المرابطين والموحدين، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ تخصص تاريخ إسلامي، إشراف: د. كمال بن مارس، قسم التاريخ وعلوم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، سنة 2013-2014، ص.44.

30-خميسي بولعراس: المرجع السابق، ص.44.

31- أحمد عزاوي: رسائل موحدية مجموعة جديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة،1422هـ/2001، ج.2، ص.237.

32- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص.67.

33- أحمد عزاوي: المرجع نفسه، ص.238.

34-ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص.61.

35- البيذق: المصدر السابق، ص.81.

36- عبد الملك بن صاحب الصلاة: المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح. الدكتور عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1964، ص.81.

37- نفســـــه، ص.331.

38- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص. 116.

39- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص. 232؛ فتحي زغروت: المرجع نفسه، ص .117.

40- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،1420هـ/ 2000 م، ج. 1، ص 207.

41- يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي الحميري يعود له الفضل في بناء مدينة مراكش وهو أكبر ملوك الدولة المرابطية، ولد سنة 400هـ/1010م واستخلفه ابن عمه أبو بكر بن عمر على المغرب سنة 463هـ/1070م، جاز لبلاد الاندلس مجاهدا وحقق انتصارات كبيرة على النصارى خاصة في موقعة الزلاقة سنة 479ه/1086م، شملت مناطق نفوذه المغرب الأقصى والصحراء وجل المغرب الأوسط اشتهر بالعدل وحسن السيرة توفي سنة 500هـ/1107م ودفن بمراكش. انظر محمد بن غازي العثماني: المرجع السابق، ص. 26.

42- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.25.

43- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص. 108.

44- لبيذق: المصدر السابق، ص.38.

45- عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ص.236.

46- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. إحسان عباس، ط. 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج. 4، ص.84.

47- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعاف المصرية، القاهرة، 1119هـ/1707م، ص. 126.

48- البيذق: المصدر السابق، ص. 57.

49- نفسه، ص.64، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج. 5، ص.28.

50- علي بن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص.225.

51- نفســـــــــه، ص.343.

52- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 213؛ عبد الحق المريني: **الجيش المغربي عبر التاريخ**، ط. 5، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997، ص.36.

53- مارمول كربخال: **إفريقيا**، تر. عمد حجي، عمد زنيبر، عمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بن جلون، المعارف الجديدة،

الرباط، 1404هـ/1984م، ج. 2، ص. 50.

54- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص. 146.

55- ج. ف. ب. هوبكنز: **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**، تر. أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1980، ص. 145.

56- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.138.

57- ج. ف. ب. هوبكنز: المرجع السابق، ص.144.

58- محمد بن منكلي: المرجع السابق، ص.192.

59- علي ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص.250.

60- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج. 5، ص.284.

61- يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تر. محمد عبد الله عنان، ط.2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1996م، ص. 53.

62- ابن جبير (ت. 614هـ/1217م): **رحلة ابن جبير**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص-ص.50.51.

63- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص.118.

64- أبو العباس القلقشندي: المصدر السابق، ج. 5، ص. 137.

65- رينهارت دوزي: **تكملة المعاجم العربية**، تر. محمد سليم النعيمي، دار الشروق الثقافية العامة، العراق، 1992، ج. 7، ص. 403.

66- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص-ص. 274.273.

67- محمد بن عبد المنعم الحميري (ت. 727هـ/1327م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. إحسان عباس، دار هايدلبرغ، لبنان،1985، ص.201؛ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح. محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ص. 16.

68- علي ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص.227.

69- **الجاميكية**: بالفارسية جامكي من جامة: ثوب، لباس ومعناها الأصلي المال المخصص للملابس، جمعها جوامك وجماكي: عطاء، راتب، أجرة، وظيفة. ويقال أجرى له راتبا أو وظيفة بمعنى أعطاه جامكية، وأطلق له جاميكية، أنظر رينهارت دوزي: المرجع السابق، ج. 2، ص. 127.

70- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص.289.

71- نفســـــــــــــــــــه.

72- أحمد عزاوي: المرجع السابق، ص. 233.

73-عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص.316.

74- علي ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص.226.

75- بن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج. 5، ص.284.

76- مارمول كربخال: إفريقيا، ج. 1، ص. 340.

77- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص. 304.

78- حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 1997، ص. 223.

79- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص. 210.

80- نفســـــــــــــــه، ص. 46.

81- نفســـــــــــــــه، ص. 275.

82- علي بن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص-ص.223-224.

83- نفســـــــــــــــه، ص. 226.

84- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.146.

85- البيذق: المصدر السابق، ص. 33.

86- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.150.

87- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص. 54.

88- نفســـــــــــــــه: ص. 57.

89- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 148.

90- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ج. 2، ص. 144؛ عبد الحق المريني: المرجع السابق، ص. 33.

91- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 348.

92- نفســـــــــــــــه: ص. 218.

93- عبد الحق المريني: المرجع السابق، ص. 33.

94- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.132.

95- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 215.

96- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص. 114.

97- **القسي**: من القسي الشريج وهي التي تشق من العود إلى فلقتين وهي القوس أيضا، ومنها أيضا القضيب والفرع، فالقضيب هي التي تُصنع من غصن غير مشقوق، والفرع ما يصنع من طرف القضيب. وللقِسِيِّ عدة أنواع منها: الكتوم والعاتكة والمرتهشة...، وهي أيضا نوع من الأقواس الكبيرة التي شاع استخدامها عند الإفرنج، وتميزت ببعد مداها، وكانت تستخدم من وضعية الجثو من قبل جنود أقوياء البنية. انظر ابو عبيد القاسم بن سلام: **كتاب السلاح**، تح. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بغداد، 1405هـ/1985م، ص. 22؛ مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص. 76.

98- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج. 2، ص. 56؛ عبد الحق المريني: المرجع السابق، ص. 34.

99- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص. 55.

100- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ج. 2، ص. 143.

101- علي بن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص. 234؛ عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص. 261.

102- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 348.

103- **الطوارق:** جمع طارق، وهو الدبوس الكبير الذي ستأتي صفته وشيكا ويسمى: المطرقة، وجمعه، المطارق، والعامة تجمعه على طوارق وهي الدبابيس الكبيرة وهي عصى قصيرة من الحديد، لها رأس حديدية مربعة أو مستديرة، وهي في العادة للفرسان، يحملونها في سروجهم، ويتقاتلون بها عند الاقتراب، ويستعملها المشاة أيضا، في القتال القريب وجها لوجه، انظر: محمد بن منكلي: المصدر السابق، ص-ص. 190-191.

104- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص. 132.

105-البيذق: المصدر السابق، ص. 64.

106- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص. 147.

107- نفســـــــــــه: ص. 109.

108- نفســـــــــــــه: ص. 132.

109- عبد الحق المريني: المرجع السابق، ص. 33.

110- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.150.

111- روجر لي تورنو: **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، تع. أمين الطيبي، ط. 2، دار المدارس، الدار البيضاء، 1419هـ/1998م، ص. 64.

112- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر السابق، ج. 2، ص. 143؛ علي ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص. 201.

113- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.146.

114- نفســـــــــــه: ص. 147.

115- عبد الحق المريني: المرجع السابق، ص.37.

116- ابن خلدون: المصدر السابق، ج. 1، ص. 272.

117- بن منكلي الناصري (ت. 784هـ/1382م): **الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب**، تح. نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، 2000، ص. 336.

118- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 342؛ عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص. 235.

119- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.152.

120- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 218.

121- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.152؛ عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص. 250.

122- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.137.

123- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.152.

124- البيذق: المصدر السابق، ص. 57.

125- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.137.

126- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج. 5. ص. 194.

127- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 213.

128- للمزيد من الشرح والإيضاح حول هذا الموضوع، ارجع إلى مقال حسام صلاحي: **البحرية الموحدية في الحوض الغربي للمتوسط (515-668هـ/1121-1269م)**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع.1، 1440هـ/2019م، ص-ص، 16-26

الملاحق :

الملحق 01: سلاح الدبوس،
نقلا عن محمد بن منكلي، المصدر السابق، ص191.
الصورة 02: سلاح الحربة وأشكالها.

الملحق 02: المخالي التي كانت توضع فيها الحجارة لرمي العدو
حفصة معروف: الخطة التربيعية
من طرق القتال عند الموحدين،
مجلة دراسات تراثية، ع. 5،
ج2. جامعة الجزائر 2، 2014، ص. 119

الملحق 03: خريطة تمثل مواقع القبائل في بلاد المغرب مع بدايات الدولة الموحدية.
انظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة 1411هـ/1990م، ص 181.